جُلُّ الأَسَارَىٰ من قريش [٥٦٩].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

غَزْوَةُ السَّويقِ(١)

قال: حَدَّثنا أبو محمَّدٍ عَبْدُ الملك بن هشام، قال: حدَّثنا زِيَادُ بن عبد الله الْبَكَّائِيُّ، عن محمد بن إسحاق المطلبيُّ، قال:

سبب غزوة السويق

ثم غزا أبو سفيانَ بْنُ حَرْبٍ غَزْوَةَ السَّوِيقِ في ذي الحِجَّةِ، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة، فكان أبو سفيان ـ كما حدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبَيْرِ، ويزيد بن رُومانَ، ومَنْ لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان من أعلم الأنصار؛ حين رجع إلى مكة ورجع فَلُّ(٢) قريش من بَدْرٍ ـ نَذَرَ أَلاَّ يَمَسَّ رَأْسَهُ ماءٌ من جنابةٍ حتى يغزو محمداً [ـ ﷺ ـ] فَخرج في مائتيْ راكبٍ من قريشٍ ليَبِرَّ يمينه، فسلك النَّجْدِيَّةَ حتى نزل بِصَدْرِ قَنَاةٍ إلى جبلٍ يقال له: ثَيْبٌ، من المدينة على بَرِيدٍ أو نحوه، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النَّضِيرِ تحت الليل، فأتى حُيَيَّ بن أَخْطَبَ، فَضَرَب عليه بابه، فأبَىٰ أن يفتح له بابه وخافه، فانصرف عنه إلى سَلاَّم بن مِشْكَم، وكان سَيِّدَ بني النضير في زمانه ذلك وصاحِبَ كَنْزِهِمْ(٣)، فاستأذن عليه فأذن له، فَقَرَاهُ(٤) وَسَقَاهُ وبَطَنَ له مِنْ خبر الناس(٥)، ثم خرج في عَقِبِ ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجالاً من قريش [إلى المدينة] فأتوا ناحيةً منها يقال لها: الْعُرَيْضُ(٦)، فحرَّقوا في أَصْوَارٍ(٧) من نخل بها، ووجدوا [بها] رجلاً من

---

[٥٦٩] انظر الدرر (ص ١٤٥) والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٦٣) والطبري في تاريخه (٢/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣) وانظر البداية والنهاية (٣/ ٤١٥).

---

(١) السَّويق ـ بالسين والصاد لغة ـ: قمح أو شعير يُقْلَى ثم يُطحن فيتزوَّد ويُسْتَفّ تارة بما يُثرى به أو بسمن أو بعسل وسمن. ينظر السبل (٤/ ١٧٤).

(٢) الفَلُّ: القوم المُنْهَزِمون.

(٣) صاحِبَ كَنْزهم: يعني بالكَنْز هنا: المال الذي كانوا يَجْمعونه لِنَوائبهم وما يَعرِض لهم.

(٤) فَقَراه: أي صَنَعَ له قِرىً، وهو طَعامُ الضَّيف.

(٥) بَطَنَ له من خَبَرِ الناس. أي: عُلِم له مِن سِرِّهم، ومنه بطانَةُ الرجل: وهو خاصَّتُهُ وأصحاب سِرِّه.

(٦) العُرَيْض: اسم موضع، ويُرْوى: العُرَيْص بالصاد المهملة أيضاً.

(٧) الأَصْوار: جَمْعُ صَوْرٍ، وهي: الجماعة مَن النَّخْل.

الأنصار وحليفاً له في حَرْثٍ لهما فقتلوهما، ثم انصرفوا رَاجِعِينَ، ونَذِرَ بهم الناس[1].

خروج النبي إلى القتال

فخرج رسول الله ـ ﷺ ـ في طلبهم حتى بَلَغَ قَرْقَرَةَ الْكُدْرِ[2]، ثم انصرف راجعاً، وقد فاته أبو سُفْيَانَ وأصحابه، وقد رأوا أَزْوَاداً من أزواد القوم قد طَرَحُوهَا في الحَرْثِ يَتَخَفَّفُونَ منها لِلنَّجَاءِ[3]، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ـ ﷺ ـ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَطْمَعُ لَنَا أَنْ تَكُونَ غَزْوَةً؟ قَالَ: «نَعَمْ» [٥٧٠].

قال ابن هشام: [وَاستعمل على المدينة بَشِيرَ بن عَبْدِ المنذر، وهو أبو لبابة؛ فيما قال ابن هشام].

سبب تسمية هذه الغزوة

وإنما سُمِّيَتْ غزوةَ السَّويقِ ـ فيما حدَّثني أبو عبيدة ـ أنَّ أكثر ما طَرَحَ القومُ مِنْ أَزوادهم السَّوِيقُ، فهجم المسلمون على سَوِيقٍ كثيرٍ، فَسُمِّيَتْ غَزوةَ السَّوِيقِ[4].

قصيدة لأبي سفيان يمدح سلام بن مشكم

قال ابن إسحاق: وقال أبو سفيان بن حَرْبٍ عند مُنْصَرفِهِ لما صنع/ (١٥٧/أ) به سَلاَّمُ بْنُ مِشْكَمٍ [من الطويل]:

وَإِنِّي تَخَيَّرْتُ الْمَدِينَةَ وَاحِداً ... لِحِلْفٍ فَلَمْ أَنْدَمْ وَلَمْ أَتَلَوَّمِ[5]

سَقَانِي فَرَوَّانِي كُمَيْتاً مُدَامَةً ... عَلَىٰ عَجَلٍ مِنِّي سَلاَمُ بْنُ مِشْكَمِ[6]

---

[٥٧٠] أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤) والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٦٥ ـ ١٦٦).
وانظر البداية لابن كثير (٣/ ٤١٥ ـ ٤١٦).

---

(١) نَذِرَ بهم الناس أي: عَلِم، يقال نَذِرْتُ بالقوم: إِذَا عَلِمْت بهم فاستَعْدَدتُ لهم.
(٢) قَرْقَرة الكُدْر: موضع.
(٣) النجاء: السُّرعة.
(٤) السَّوِيقُ هو: أن تُحَمِّص الحِنطَة أَو الشعير أو نحو ذلك ثُمَّ تُطْحن ثم يُسافرُ بها وقد تُمْزَجُ باللَّبَن والعَسَل والسَّمْن تلَتُّ به، فإن لم يَكُنْ شيء من ذلك مُزِج بالماء.
(٥) إِنِّي تَخَيَّرْتُ المدِينَةَ وَاحداً: أراد منَ المدينة، فحذف حرف الجرُ وأَوْصَلَ الفِعْل. ولم أَتَلَوَّمْ، أي: أَدْخُل فيما لأُم عليه.
(٦) والكُمَيْت هنا: من أسماء الخمر، وكذلك المُدامة، وسَلاَّمُ بْنُ مِشْكَم، يقال: إنه أراد أن يقول: سَلاَّم بتشديد اللام لكِنَّه خَفَّفه لِضَرورة الشِّعْر. ولم يَذْكُرِ الدارقُطْنيّ سَلاَماً بالتخفيف إلاَّ في عبد الله بن سَلاَم وَحْده، ومِشْكَمٌ: مأخوذ من الشَّكْم وهو الجَزاءُ والثَّواب.

وَلَمَّا تَوَلَّى الْجَيْشُ قُلْتُ وَلَمْ أَكُنْ ... لِأُفْرِحَهُ أَبْشِرْ بِغَزْوٍ وَمَغْنَمِ[1]
تَأَمَّلْ؛ فَإِنَّ الْقَوْمَ سِرٌّ، وَإِنَّهُمْ ... صَرِيحُ لُؤَيٍّ لاَ شَمَاطِيطُ جُرْهُمِ[2]
وَمَا كَانَ إِلاَّ بَعْضُ لَيْلَةِ رَاكِبٍ ... أَتَى سَاغِباً مِنْ غَيْرِ خَلَّةِ مُعْدِمِ[3]

غَزْوَةُ ذِي أَمَرَ

فلما رجع رسول الله ـ ﷺ ـ من غزوة السُّويق، أقام بالمدينةِ بَقيَّةَ ذي الحِجَّةِ، أو قريباً منها، ثم غزا نَجْداً يريدُ غَطَفَانَ، وهي غزوة ذي أَمَرَ[4].

واستعمل على المدينة عُثمان بن عَفَّان؛ فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فأَقام بِنَجْدٍ صَفَراً كُلَّهُ، أو قريباً من ذلك، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْقَ كَيْداً، فَلَبِثَ بها [بقية] شهر ربيعٍ الأولِ كُلِّهِ، أو إلا قليلاً منه [٥٧١].

غَزْوَةُ الفُرُعِ مِنْ بُحْرَانَ

ثم غزا [رسول الله] ـ ﷺ ـ يريد قُرَيْشاً.

واستعمل على المدينة ابن أُمِّ مَكْتُومٍ؛ فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ بُحْرَانَ مَعْدِناً بالحجاز من ناحيةِ الْفُرُعِ، فأقام بها شَهْرَ ربيعٍ الآخر وجُمَادى الأُولَىٰ، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْقَ كَيْداً [٥٧٢].

---

[٥٧١] انظر الدرر (ص ١٤٨) والبداية والنهاية (٤/ ٣) والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٦٧) والطبري في تاريخه (٢/ ٤٨٧).

[٥٧٢] انظر تاريخ الطبري (٢/ ٤٧٨) والدرر لابن عبد البر (ص ١٤٩) والدلائل للبيهقي (٣/ ١٦٧). وانظر البداية والنهاية أيضاً (٤/ ٤).

---

(١) لأُفرِحَهُ: معناه: لأُثقِلَه وأَشُقَّ عليه، يُقال: أَفْرَحَهُ الدَّيْنُ: إذا أَثْقَلَه.

(٢) سِرُّ القوم: خالِصُهم في النَّسَب. والصَّريح: الخالِص أيضاً، والشَّمَاطِيطُ: المُخْتَلِطون من قَبائل شَتَّى، ومِنه الشَّمَط: وهو اختِلاطُ بَياضِ الشَّعَر بسَوادِهِ، وجُرْهُمٌ: قبيلة قديمة.

(٣) الساغِبُ: الجائِع المُعْيي، ومَنْ رواه شاعباً فهو من: التَّفَرُّق، ومَن رواه: ساعِياً فهو مِنَ السَّعْيِ وهو معلوم، والخَلَّة هنا: الحاجَة والفَقْر. وينظر البداية والنهاية (٣/ ٤١٦).

(٤) ذو أَمَرٍ: موضع.